# النهر

قصة بقلم : احمد خلف

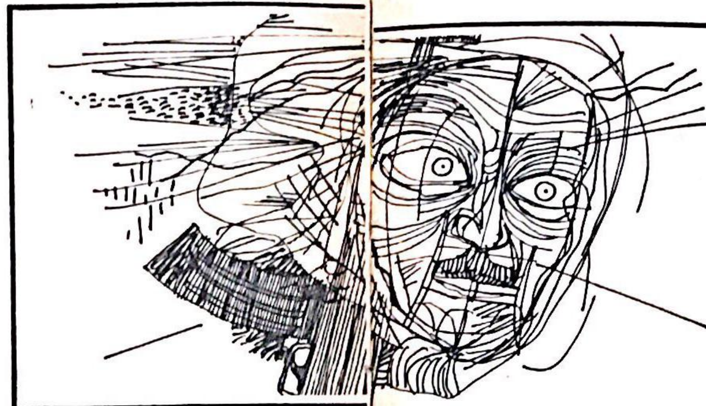

سقطت لتوي على الارض . فتحت عيني على سعتيهما . حدقت . لم يكن فراغا هائلا كما تصورت ، بل ، حدث العكس ، جيوش من الفيض البشري محدقة بي . كان النزوع يتجسد مثل آلة . ها هم، يحتشدون بصورة لا انسانية في معظم الانحاء ، انهم يتناسلون ، ووجدت كم من الصعوبة علي ( بعد الذي حدث معي ذلك اليوم ، يوم فائض عن الحاجة ، ومع هذا فقد قررت الاحتفاظ بماء الوجه ، وكنت اقول ان الانسان لا يمكن ان ينتكس بسهولة ، ما لم يحاصر كلية ، وها هو الحصار يطوقني كالجبهة، الذن ماذا يجب ان افعل بالضبط ؟ لم يكن بد من التراجع قليلا ، ولما تراجعت بعض الشيء ، ادركت ان الموقف مشحونا بالسرية والاحتمال .

اكثر مما ينبغي . فعلا ) ان اجد طريقي الى الصحراء . المحطة . او الفتاة . واذ يسقط ليل اسود ، سائل مثل شلال رطب افتح اجفاني وانظر ، جثث نائمة من حولي .

لم يكن ثمة سبب كاف لاستعادة الثقة ، بل تحاملت على النتائج ، ان اواجه نفسي مواجهة حقيقية ، قلت : حسنا ، ليكن ما يكون . ولكن هذا لم يعد مجديا بالمرة ، ذلك اننا جميعا ، كنا نقول : ليكن ما يكون ، عندما ينوون تدميرنا فسوف لا تكف عن اقلاقهم ، لقد كنا نقول كلمات .. وكنت انا الاخر ، افرغ كلماتي على سطح الهواء ولم تكن الريح كافية الشجاعة ، بحيث يثق المرء ان كلماته مجدية ، ولذا ، كنا نستبدل شرطنا الانساني ، ونقوم بعملية تجديد له ، بينما كانت الفتاة تصر على انها لم نكن لتاخذ القضية ماخذا ، بل اكتفت بالصمت حتى ذلك اليوم . لقد كان الجميع يدركون سر اللعبة ، ومع هذا رفض اي منهم المشاركة في القيام باي دور فعلي .

تقدمت نحو احدى الجثث ، الهائلة ، بضع خطوات وسحبت الغطاء ، لم يكن وجها آدميا ، كما انه ليس غريبا عني ، حاولت مجددا استعادة قواي ، لقد حدث ما كان بعيدا عن التصور .

ولبرهة خيل لي فيها ، ان ما يجري امامي الان، مجرد رؤيا فاسدة ، حلم غير منتظم ، اذ مرت ثلاثة ايام دون الولوع في النوم . اخلت يدي الارض مرة اخرى . ارتفع الحس القديم ، بينما ظلت ضحكة الفتاة تعول في اذني. تحايلت في البداية على الموجودات . كانت عينان واسعتان تحدقان . انتفضت جثتي . هيكلي الذي تصلب كقطعة جلد ساخنة . وبعنف ضربت الجدار ، لكن شيئا متوقعا لم يحدث ابدا .

ماذا ينبغي ان افعل ؟

الاشياء تجري من حولي، بشكل واقعي مرير، نظرت الى الفتاة . كانت تعض على شفتها بفرح غريب .

ـ لماذا لا تصدقني ؟

ـ كيف . الا تجدينها مجرد خدعة ؟

ـ هكذا انت دائما .

ـ لم يكن ذنبي بالطبع .

يظل الحس البارد ، الميت يسري في المفاصل، بين ثنيات الجسد الثاني ، حيث يسيل ليل اسود بلون الحزن . نهضت امامي . كسل الصحراء يعوي . تقابلنا معا بصمت ثقيل متجدد ؛

ـ هل عذبوك كثيرا ؟

ـ قالوا لي : دعنا نتسلى معك قليلا .

ـ كيف احتملت حرارة آيلول ؟

ـ الغريب ، لم اصدقهم يتلاذون بنفس اللغة ؟

الطريق الصحراوي يمتد ، تقطعه القدامى التعبى معها ، كان راسي تهشمه ذاكرة حادة ، محتشدة بالوجوه والجثث والاشباح . اصوات، وخيبات ، افراح ، ضحكات ، وجوه ذات استطالة حادة ، مريرة ، كم ينبغي علي تحمل المسافة ، وها هي مترامية الاطراف لن اتهاون . كان يجب ان امسح هذا في خاطري ، في السابق، اكره الوجوه التي تضع ابتسامة ما ، لكي تبدو صالحة للاستعمال اليومي . كنت حزينا ، وضجرا ، ومتعبا ايضا ، ومع هذا ، فقد تواردت اطلاقات ايلول في راسي كالمذنبات ، تمرق في الذاكرة

ـ لماذا تصمت هكذا ؟

كانت تبغي ان اقول اي شيء ، تلك هي عادتها ، حيث يتشنج الوجه ، يستحيل الى علامة غير مضيئة ، تقف باستحالة مميتة ، بعينيها الصغيرتين ، وفمها الممتلىء بعض الشيء تلك هي نحافة ايام ما بعد الخسارة ، هزيلة ومرهقة من قبل العادة اليومية ، لقد حدثتني عن ذلك كله ، ولم اكن ارغب بشكل جدي ، بالتظاهر بالاصغاء ، العمل على تنشيط الذاكرة، الافراغ من اكياس الحزن . قبلي حزيران يعاودون الاحتجاج ، اسراب من الجنود والمقاتلين، ورجال الميليشيا ، يلوذون برداء ايلول . الملك يتحدث بثقة مهزوزة ، عشرات العيون تحدق ، ولا ترى شيئا واضحا ابدا ، عشرات الافواه مغلقة على نفسها ، لقد اعتادوا هذا الصوت ، وها هو يتقدم راكضا ورائي ، عبر الصحراء ، متخطيا قلب عمان ، والزرقاء ، باحثا عن الاعداء ، باحثا عن الاصدقاء ، حاملا مدية الخوف ، لائذا بالاخوة القتلى :

ـ « لن اغادر عمان الا بعد ان احيلها الى صحراء مجردة » .

كنا نركض في الازقة ، الشوارع ، البيوت ، نحتمي خلف اعمدة التلغراف ، الجدران المهدمة المتاريس ، لم تكن لدينا متاريس ، ها نحن نحتمي بالريح ، نضرب الهواء ، لم نعد ندري بالضبط ، اين هو العدو الحقيقي ، كانوا يتناسلون مع الوقت ، وكنا نلد من وهم الاشياء ، وبداوا يتقدمون كليل اسود مدهون بالفضة ، ها هم يزحفون نحونا . نضرب فقط لم تعد الاصوات مجدية . الرصاصة برجل واحد . الرصاصة برجلين كاملين . الغبار يملا جيوبنا . الغبار يملا قلوبنا . الرصاصة بعشرة رجال . ما الذي تفعله برجل لا يملك رصاصة يقاتل فيها الاعداء ، الا تراهم يتقدمون كالغبار ؟

.. دعني وشاني ايها الرفيق ، اتركني النزيف يشتد : استخدموا المعاول . البلطات ، السكاكين . الحجارة .

ـ اليوم ازالت عمان بكارتها فعلا .

ـ ما الذي تحكيه ايها الرفيق .

ـ اليوم اعلن السفاح عرسه المختوم بالشمع.

ـ كيف تتحدث . الا تكف عن الهذو ؟

ـ البدو يرتدون ثيابهم العربية ، الا تراهم ؟

ـ حسنا ، انتبه . قاتل فقط ، هذا اجدى .

ـ اقاتل فقط ؟ لقد تعبت . لماذا لا يكف حزيران عن اللعب ؟

ـ حزيران ؟ اجل انه الوجه الاخر .

هل نتراجع خطوتين الى الوراء ؟ انتقدم خطوتين الى امام ؟ لم اعد ادري بالضبط . واذا شاءوا ان يفعلوها اليوم ، فاني اصر على الموت فعلا . متاريس . الاطلاقة برجل . بعشرة رجال ، بثلاثمائة رجل . دعني اراقبهم . لمن هذه الدبابات ؟ يقال ان الثورة استولت على بعض الاليات القاتلة .

ليس ثمة شيء واضح البتة . دفعونا الى الوراء . ووجدت نفسي واحد من عشرات المقاتلين الذين استنفذوا عدتهم . ولم يبق امامنا ، الا الصعود الى الجبل بانتظار ان ياتي احد .

بسبب الحزن ام بسبب الخسارة ، اقدامي تتعثر ؟ اريد ان اعرف فقط . نفس العادة التي رافقتني منذ وعيت القرية وعشت سبعة عشر عاما في المدينة ، ثم غادرتها صحفيا الى الجبل ، اكتب عن الثورة والمقاتلين، عن الجنود الذين لا يملكون سوى عتاد الحرب ، عن الريح التي تبعث عذابات الانسان في الصحراء ، عن الرجل الذي نسي ان يموت هناك . ها انا التقي بالجبل مرة اخرى ، كما يلتقي الماضي بالحاضر ، الذاكرة بالتراب ، كان شامخا واثقا من وجوده . اشاهدهم يتجمعون حولنا « هكذا كانوا يفعلون في حياة السلم معنا » يتسامرون معنا ، يتسامرون باحاديث الليل ، وغناء المقاتلين ، ينزع « البدو » لثامهم يستقبلون احدنا يصافحون ايدينا ، يتمتمون بسخرية واثقة :

ـ ليجعلنا الله اخوة ، في السراء والضراء .

اقول : ـ اولاد الكلبة .

الدنيا اكثر انحيازا ، لم يعد ثمة شيء محايد ، الاقدام تتجه نحو الموت . تعاسة البحر . البحر يمتلىء بالحجارة ، قناني البيرة. خوذ الجنود القتلى ، عتاد المقاتلين ، احذية البدو . وعويل العالم يجري مع تيار الماء . لكن الصحراء ظلت صامتة ، ترفع ذراعين املسين جزعا من الموت ، وهو يبطش في الريح ، لم يكن احد قد انتبه لصوت القتيل ينزف حياة حمراء ، دامية، ظلت تنزف بسرعة غريبة غامضة حتى سقط جثة ميتة ، عند رابية الجبل . يتجمعون حول الخيام . اللاجىء . النساء . عشرات العيون . مئات القنابل اليدوية ، تثقب ظهر الليل ، الليل يقطر نفطا اسودا ، فسفور ينتشر في الارض ، يشتعل التراب والارصفة الغبارية ، يركض آلاف الاطفال ، لاطفاء وقود الفسفور الملتهب ، في المخيمات والشوارع ، والبيوت ، كانت اكتافه تشتعل ، الى اين يتجه، لا اعتقد انه يدري الى اين سيمضي بالضبط ، لكنه ترك ساقيه تسابق الارض ، وفتائل الغبار، كان يعوي بصراخ مذعور . يمر سرب من النساء ملفعات بثياب عربية تقليدية يرتمي ـ المقاتل ـ بينهن ، يلتحمن حوله ، تخمد النار فجاة ، تخفي وجوه النسوة ، الكتل السوداء الغامضة تلتف حوله ، وتستحيل الى نقطة سوداء في وجه العالم ، العالم لم يعد هو ، هو ، كان صحنا من الزيت تلتهمه النار فجاة ، ولم يعد ثمة احد يدري ، اين هو ، وماذا يفعل الان ؟

ـ لمن ينتمي هذا الصيف ؟

ـ ايلول . لم يمنحني وجهه من البداية ، كان غامضا جدا .

ـ نفذت سجائري ، هل عانيتم في السجن من السجائر ؟

ـ كنا اسرى حرب .

ـ ايملك الاسير امتيازا ما ؟

ـ انه ينتظر موته ، وقد يحدث العكس في بعض الاحيان .

ـ متى يحدث هذا ؟

ـ حين لا يكفي المرء انه انسان ؟

ـ بماذا كانوا يطالبونكم ؟

ـ ان نموت ببطء ، او نلقي اسلحتنا في البحر .

ـ عندما انقطعت اخبارك عنا ، قالت امي : « تزوجي ، يا بنيتي اول رجل يتقدم اليك ، المراة لا تنتظر رجل يذهب الى القتال على امل العودة ، لو فعل والدك هذا لرفضت انتظاره يوما واحدا ، ارى الولد ابن سليمة جارتنا يحبك كثيرا ، انه لم يذهب الى الاردن ، الا تجديه ولدا عاقلا ، يا بنيتي ؟ لقد شممت رائحة فكرة تدور في بيتهم ، ساوافق عندما يتقدم لخطوبتك » لكني ضحكت تلك الساعة ، قلت لها : « كلا يا امي ، بل المراة الحكيمة تنتظر زوجها سنين طويلة ، ولا بد انه يعود يوما ما ، سوف انتظره ياتي يوما ما ، وفعلا اتيت » وحين تقدم ابن جارتنا لخطوبتي ، رفضت باصرار ، صدقني ، رفضت .

ـ طيب انى اصدقك ، انتظرتني اذن ؟

ـ اجل وها انت تراني ، اتبعك ، الان حيث تذهب .

ـ لماذا ، قد لا تكون المهمة الاخيرة .

ـ لكن ما يكون .

ـ وكيف توافق امك على رجل قطعت ساقه ؟

ـ هل تضنك امي كثيرا ؟

ـ كلا . انت ماذا تقولين ان اعترفت هي ؟

ـ ساضع يدي بيدك .

الصحراء . كم من الساعات والامتار ، على ان اقطعها لكي اصل المحطة في الوقت المناسب، الطريق الصحراوي يفتح فمه كتمساح سوف يبتلعني ، ليس هذا مهما ، سوف تتعب الفتاة عند المنتصف الاول ، ساقول لها ، تدري امرك انت ، لن اعود ثانية الى المدينة . لقد حدثت نفسي من البدء ، ولم يكن ثمة احد يعلم انني ارتفقها معي الان ، ومع هذا ، فانها افضل بكثير مما او كنت وحيدا ، ان المرء لا يلبث ان يترك نفسه للافكار ، انها تتقاطر بهدوء وسرية ، لقد كف كل شيء عن الامل ، هناك حين رفعوا وجهي الى امام ، قالوا : انظر ليس امامك سوى الصحراء ، سوف تتعب . لم ما لبثوا ان وضعوني في سيارة لندلوفر « لن تستطيع الهرب » اشاروا الى السائق « تحرك » كانت يداه تشدان على المقود باطمئنان قلق بعض الشيء ، قال « نعم سيدي » وكان يخاطب الضابط ، وحاولت استرداد انفاسي ، كنت اخرج انفاس المرض ، اصبحت المستشفى وراءنا تماما ، رصاص يتوزع دون نظام . اطلاقات ، قذائف نساء تجري ، اسراب من الصبية والاطفال يلتاعون في الازقة ، يحتمون في الريح ، وظل احد الجنود ـ معنا ـ يلعن باستمرار ، رغم وجود الضابط . البنايات تميل نحو جهة ما ، اوشكت على الصراخ . لقد ضربوني عند باب المستشفى بقسوة ، لم اصرخ ، لكني كنت ائن تحت اقدامهم ، ثم سحبوني عنوة . ساقي لا يكف عن ايلامي ، اقول : لماذا لا ينتهي عذاب الذاكرة عن النزف ؟ ذاكرة دامية ، مليئة بجثث القتلى والقتلة ، حيث تسبح سواقي الدم والصراخ ، وحرارة ايلول اقول : ها اني احاط بالاعداء من جوانبي الاربعة ، كيف يمكنني الخلاص منهم .

اقول : ها هي الشوارع تمتلىء بالجنود والحراب والدبابات ، الجدران المهدمة ، المنازل المنسوفة ، العشاق الخائبين ، العاشقات المنهزمات ، الذعر ، اطفال مرميين عند ارصفة الشارع ، وتحت الانقاض .

اقول : ها نحن نصل السجن .

يدفعون بي نحو الداخل ، فعلا ، ويتلقاني سيل من اخمصة البنادق والرشاشات ، لم اعد ارى احدا ، شيئا ما ، واضحا ، الالوان تختلط اغلب الظن ، سوف اغادر الحياة ، او : يغمى علي ، وتلك افضل الحالات ..

يعيدون الى الضوء ، رغما عني ، افتح عيني ، احدق بوجوههم الصفراء ، يساومونني على جسدي ، ماذا ينبغي ان افعل ، يعرضون علي حلولا ناقصة ، اهز راسي رافضا ، يبدا جسدي بالانفصال عني ، شيئا فشيئا ، انى اراه يبتعد ، راسي يكف عن التفكير ، يتفننون بمداعباتهم معي ؛ ـ سوف نتسلى معك قليلا ـ يمسكون بساقي بلطف بادىء الامر ، يجربون حظوظهم معي ، حظوظ متناثرة ، يقومون بعملية تجميع سريعة لها ، عشرات الاصابع والحراب ، الخدر يسري في اوصالي . خدر غير مؤذ ، كنت قد سقطت لتوي على الارض ، في ليل السكارى المخمورين بلفو الحانات . رائحة الدم اليابس عند الارصفة ، المدينة تغط في نومها الازلي ، في المدينة يختلط الدم برائحة الخمر الرخيص، فتائل الدخان تعوم في الهواء الرطب ، اواصل وحدي السير ، غاضا الطرف عن العذاب والبؤس ، استدرت قليلا ناحية ما ، كانت الفتاة تقف عند عتبة البيت .

ـ تعال . انت متعب .

ـ ...

ـ تعال لدي اسرار اسرك بها !

ـ ...

ـ اين مضى البدو بساقك ؟

ـ ...

ـ امهلني دقيقة لكي اذهب معك ؟

ـ حسنا ، تعالي ، اذا شئت .

بغداد ـ حزيران ١٩٧١



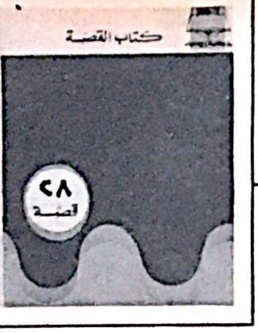


# "جمعية الادباء" المصرية تنشر قصصا نموذجية ، رديئة .. لاشباه الشبان !

« ... مجموعة من القصص المنوعة حاولنا ان تمثل معظم اتجاهات القصة القصيرة في هذه الفترة من حياتنا الادبية . ولقد اولينا تجارب الشباب عناية خاصة ، ففي الكتاب قصص كثيرة من تجاربهم منوعة المشارب والمستويات » .

ـ اولا ان هذه القصص ، عكس ما يدعي يوسف السباعي ، غير متنوعة ، فهي تعزف على وتر واحد من التفاهة والسطحية والابتذال، وغالبية اصحابها كتاب مبتدئون، تفشى محاولاتهم « الطريقة » الصحفية المصرية، ويحبطها التناول الانشائي الباهت . وهم مقلدون لاسوأ ما تبثه وسائل الثقافة المتخلفة من سينما واعمال قصصية وروائية . ولا تعدو كتاباتهم سوى رجع شاحب لما ابدعه جودة السحار وامين غراب واللفيف الباقي . واذا كانت « تتنوع » على ذمة السباعي ، فانما في توسل موضوعات قديمة بلهجه قصصية ركيكة وبدائية .

ـ وعليه ، ثانيا ، فانها لا تمثل « معظم » اتجاهات القصة القصيرة في الحياة الادبية بمصر ، بل تمثل فقط الادب الصحفي ، القت والابله . والذي يروج له كتاب مثل ابراهيم الورداني والسباعي نفسه . الادب الصحفي الذي يتملق الغرائز المسطحة لدى القارىء اليومي ، ويغازل وعيه الساذج .

ان ما حاوله السباعي ، عبر جمعية الادباء التي يرئسها والتي اصدرت الكتاب ، هو تكريس المناخ الذي بذل يمينه ، هو ، في تاسيسه : ادب اللهو والالتهاء ، الذي يمسخ معاناة الانسان الاجتماعية اليومية ، الى رومانسية ثرثارة ذائبة مريضة ، تجهد في ترسيخ القبول بالنظام الاجتماعي القائم ، عن طريق تجميله او نقده شكليا ، او الهروب فرديا منه .

ـ اما الغاية الخاصة ، ثالثا ، التي اولاها السباعي للشباب ، فهي عزلهم . ان اسماء باتت معروفة ومتداولة ، لا نجد لها اي عمل في هذا الكتاب الذي يضم ٢٨ قصة . ومن هؤلاء مثلا : جمال الغيطاني، احمد الشريف ، ابراهيم اصلان ، محمد مبروك ، محمد البساطي ، زهير الشايب ، ابراهيم منصور ، وغيرهم . وبالطبع فان نشر عمل لكل واحد من هؤلاء والاخرين ، لا يحل ازمة النشر المستعصية . لكن المهمة التي كانت موكولة على جمعية الادباء هي ابراز وجه القصة الجديد في مصر ، بما يعطي فكرة شبه وافية عن التيارات الاصيلة والجادة التي تشكل مناخ الحياة الادبية . لكن الذي جرى في هذا الكتاب ، هو استخفاف بذاكرة القارىء المصري والعربي ، وطرح اسماء فقيرة الموهبة وعديمة الخبرة . ساء حظها التاعس ان تجد من تشجعها على « الاثم » .

لكن يبدو ان السباعي ، ليس من الذين يتناقضون مع انفسهم ، فطالما كان يردد ان ازمة القصة القصيرة في مصر هي بتصيره ازمة كيف وليس كم . ولعله كان يقصد ان الجيل الجديد لم تمكن ، من تخطيه هو ، تخطي رواياته الجذابة المملة .

وهذا الكتاب القصصي المتنوع هو تعبير فعلي عن ازمة قصة . فسنما [illegible] الكتاب الشبان الحادثين الواقع المصري الراهن ، تتخلخله وتناقضه وطموحه ، ويعانون في سبيل ذلك الاتهام .. في هذا الوقت تتكفل الصحافة والهيئات الثقافية ، في ترويج ادب سطحي متهافت وظيفي ، بنشر القيم المتخلفة ، ويقف موقف العداء للقيم النقدية المتقدمة .

امام هذا الوضع الثقافي ، اي قيمة تبقى لمشروع مثل : كتاب كل ست ساعات ، الذي اطلقه الوزير حاتم قبل سنوات ؟

ان مسالة الكتاب ، في جزء من المسالة الثقافية الكبرى : تعليم « الجهلة » او توعيتهم .. تحرير الانسان من التسلط الفكري البائد، او تجربه هذا التسلط بالقلم والكتاب ؟

## نماذج

من الكتاب المشوق المسلي ، نختار ثلاثة قصص ، ليس للمثال بدلا من الحصر . وانما اولا من باب العلم بهذا الشيء . وهذه التلخيصات : في قصة بعنوان « الهدف الاخير » للموهبة الجديدة حسين القباني ، يشكو البطل السيد مجدي من الملل ، ولم تستطع الكتابة « وهي مهنته وهوايته في وقت واحد ان تخفف من هذا الملل الحاد العنيف . وقد حاول ان يجلس الى مكتبه وان يمسك القلم وان يكتب شيئا ، اي شيء كالمعتاد ، ثم ينطلق في الكتابة كشيء معتاد ايضا .. ولكنه » . والسيد مجدي سعدي الخمسين . ماتت زوجته وتزوجت ابنته الكبرى ، فخلا قصره الا من الخدم ، لكن الملل بدا يداهمه ويمنعه من مواصلة « رسالته الادبية التي كرس حياته من اجلها » . وغدا يشعر انه بلا هدف . « كان هدفه وهو طالب ان يكون مثقفا دائما فكان له ما اراد . وكان هدفه ان يشتغل بالادب فحقق هذا الهدف الى اقصى ما يمكن ان يحقق اديب وبلغ مرتبه الشهري الثابت اعلى مرتب .. ماذا بقي له في الحياة .. ان يكون وزيرا مثلا ؟.. ان مرتبه الشهري ضعف مرتب الوزير .. وان مسؤولياته اقل كثيرا من مسؤولية وزير .. وان تاثيره في الراي العام اضعاف تاثير اي وزير ..

ان يكون رئيسا للجمهورية ؟. ان ط وتكوينه البدني والنفسي لا تحتمل كلها بعيش كل لحظة من لحظات حياته لغيره .

ان ينال جائزة نوبل الادبية .. ما قيمتها وهو لا تنقصه الشهرة في الداخل او الخارج » .. وذات ليلة يعود الى قصره . وعند البوابة يهالك من اعياء مفاجىء ويسقط على الارض لاهثا فيتذكر ان له هدفا اخيرا : الحياة .

■ في قصة عنوانها « قطط بيومي افندي » للكاتبة الراسخة جاذبية صدقي ، تذهب البطلة ذات يوم « كانه عيد » بصحبة طفلتها الى حديقة الحيوانات . « تجلس ماخوذة بروعة البشرية حولها .. ترقبها وتغمس فيها روحها » وبعد ان تذهب صغيرتها للعب « مع اتراب لها » ، تجيء الى البطلة امراة عجوز وتقول « تجلسين هنا يا ست .. لا شيء على بالك وبنتك كانت على وشك ان تخطفها العجوز » . لكن البطلة لا تكترث ، لان قلبها كبير ، ولانها « ضعيفة اشد الضعف .. تذوب حنانا امام النساء كبيرات السن .. يذكرنها بامها رحمها الله » . وعندما ياتي العسكري ليقبض على العجوز الخاطفة « السيدة الرقيقة التي اقنعها مظهرها بطيب اصل لا تخطئه العين » تساله البطلة ان يدعها، وتخلق مبررا ليخلي سبيلها . ونعرف ان العجوز تشكو من وحدة في قصرها ، وانها تتمنى طفلا تربيه . وتاخذها السيدة الى مطعم ، وهناك تتحدث اليها السائق عن متاعب حياته واسرته المكونة من ١١ نفرا . فتعرض عليه العجوز ان تاخذ اليها احدهم مقابل مبلغ محترم من المال . ويوافق الرجل . في البداية مازحا واخيرا جادا . ويذهبون سوية الى بيت الرجل العامل حتى ترى العجوز « اهل ابنها الذي سيرثون مالها » . وعندما يصلون يقفز الصغير الى ابيه قائلا « ابي .. ابي .. حبيبي ماذا جلبت لي معك اليوم ؟ » . ويفهم الطفل ان العجوز ستاخذه ويقول فهمت .. كما فعل بومي الندي مع قطته الكشرة » . عندها « انقض الاب يحتضن ابنه بقوة ويدفن وجهه في صدره » .

■ ولادب النكسة ! نصيب في الكتاب . فقصة « ضائع على رصيف النكسة » للسيد فوزي العمري ، تتحدث عن شاب « ارغم على الخروج من بلده .. من جنة البرتقال ، مع بقية القطيع البشري .. يمشي متسكعا هنا وهناك . بلوك الجوع والتشرد » . ويتذكر امه المسكينة التي تركها هناك « لا بد انهم جرجروها من خيوط الحرير الرمادية ، وزرعوا اظافرهم في عنقها ووجهها » . ويتحدث البطل الذي ارغم على الخروج نفسه « لو لم اهرب والهث مثل كلب اجرب ، لكنت الان في بلدي وقاتلت بالاظافر والاسنان ، وجعلت من لحم صدري درعا يحميها ويرد عنها الكلاب » . ونتعرف على اسرته . له اخ في بيروت نعي عليه انه لا زال « كالخشبة التي تتقاذفها المياه .. يخاف النساء ويعيش الحب بالخيال » . والاخ الذي يكره هرب مثله ووجد « موقعا لقدميه في قطر عربي بترولي .. اقتنى سيارة فخمة بيضاء ومجموعة من البدلات والاحذية الانكليزية » .. « يفعل كل ذلك دون ان يهزه الذين يزرعون الرعب فوق التراب الفواح برائحة نوار الليمون والبرتقال » . وياخذه هذا الاخ في رحلة الى لندن ، الى « حي سوهو الذي يتوهج فيه الضياع والتشرد والصعلكة » . ويذهبان الى ميدان ليستر فهناك مكتبة تبيع الصحف والمجلات العربية ، فيشتريان روز اليوسف والجمهورية . ويقف الكبير يقلب « الجمهورية » بلهفة ثم قذف بها وهو يقول « لا شيء عن كرة القدم » اما البطل فقد « تعلقت نظراته فوق صورة منشورة على الصفحة الثالثة وهو يغمغم انه هو .. هو » . اما من هو ، فانه مازن الذي استشهد في طوباس . فشعر البطل بالنقص وبكى ودفن وجهه وبكى .. و « اندفع خارجا من المكتبة .. وزاد اندفاعه فوق الشوارع كان قوة خرافية تسوق قدميه . واشتد هطول المطر ، واحس انه يتجدد .. ضاعف من سرعته مندفعا الى الامام ، عسى ان يخرج من شارع النكسة الى واد في بلاده يزغرد فيه الرصاص »

وفي الكتاب القصصي الذي « اسهم بشكل جاد وعميق في حل اعقد مشكلة تواجه الاديب الشاب في مطلع حياته وهي الوصول الى القارىء » .. قصص اخرى .

( ... )